

تفسير البحر المحيط

@ 28 @ والعذاب ، وهنا جعلهم مستقرين في الرحمة ، فالرحمة طرف لهم وهي شاملتهم .
ولما أخبر تعالى أنهم مستقرّون في رحمة الله بيّن أن ذلك الاستقرار هو على سبيل
الخلود لا زوال منه ولا انتقال ، وأشار بلفظ الرحمة إلى سابق عنايته بهم ، وأن العبد
وإن كثرت طاعته لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى . وقال ابن عباس : المراد بالرحمة هنا
الجنة ، وذكر الخلود للمؤمن ولم يذكر ذلك للكافر إشعاراً بأنّ جانب الرحمة أغلب .
وأضاف الرحمة هنا إليه ولم يصف العذاب إلى نفسه ، بل قال : { فَذُوقُوا الْعَذَابَ }
ولما ذكر العذاب علّله بفعلهم ، ولم ينص هنا على سبب كونهم في الرحمة . وقرأ أبو
الجوزاء وابن يعمر : فأما الذين اسودت ، وأما الذين ابيضت بألف . وأصل افعلّ هذا
افعلل يدل ، على ذلك اسودت واحمررت ، وأن يكون للون أو عيب حسي ، كأسود ، وأعوج ،
واعوز . وأن لا يكون من مضعف كاحم ، ولا معتل لام كألّمى ، وأنّ لا يكون للمطاوعة . وندر
نحو : انقضّ الحائط ، وابهار الليل ، وإشعار الرجل بفرق شعره ، وشذا رعى ، لكونه معتل
اللام بغير لون ولا عيب مطاوعاً لرعوته بمعنى كففته . وأما دخول الألف فالأكثر أن يقصد
عروض المعنى إذا جيء بها ، ولزومه إذا لم يجأ بهما . وقد يكون العكس . فمن قصد اللزوم
مع ثبوت الألف قوله تعالى : { مَدَّ } ومن قصد العروض مع عدم الألف قوله تعالى : {
تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ } واحمرّ خجلاً . وجواب أما ففي الجنة ، والمجرور خبر
المبتدأ ، أي فمستقرون في الجنة . وهم فيها خالدون جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ، لم
تدخل في حيز أما ، ولا في إعراب ما بعده . دلّت على أنّ ذلك الاستقرار هو على سبيل
الخلود . وقال الزمخشري : (فإن قلت) كيف موقع قوله : هم فيها خالدون بعد قوله : ففي
رحمة الله ؟ (قلت) : موقع الاستئناف . كأنه قيل : كيف يكونون فيها ؟ فقيل : هم فيها
خالدون ، لا يطعنون عنها ولا يموتون انتهى . وهو حسن . وقيل : جواب أما ففي الجنة هم
فيها خالدون ، وهم فيها خالدون ابتداء . وخبر وخالدون العامل في الطرفين ، وكرر على
طريق التوكيد لما يدل عليه من الاستدعاء والتشويق إلى النعيم المقيم . .
{ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَُا عَلَآيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلُمًا لِّلْعَالَمِينَ } الإشارة بتلك قيل : إلى القرآن كله . وقيل : إلى ما أنزل من
الآيات في أمر الأوس والخزرج واليهود الذين مكروا بهم ، والتقدم إليهم بتجنب الافتراق .
وكشف تعالى للمؤمنين عن حالهم وحال أعدائهم بقوله : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ
وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } وقيل : تلك بمعنى هذه لما انقصت صارت كأنها بعدت . وقال

الزمخشري : تلك آيات القرآن الواردة في الوعد والوعيد ، وكذا قال ابن عطية . قال الإشارة بتلك إلى هذه الآيات المتقدمة المتضمنة تعذيب الكفارة وتنعيم المؤمنين . . .
وقرأ الجمهور نتلوها بالنون على سبيل الالتفات ، لما في إسناد التلاوة للمعظم ذاته من الفخامة والشرف . وقرأ أبو نهيك بالياء . والأحسن أن يكون الضمير المرفوع في نتلوها في هذه القراءة عائد على القرآن ، ليتحد الضمير . وليس فيه التفتات ، لأنه ضمير غائب عاد على اسم غائب . ومعنى التلاوة : القراءة شيئاً بعد شيء ، وإسناد ذلك إلى القرآن على سبيل المجاز ، إذ التالي هو جبريل لما أمره بالتلاوة كان كأنه هو التالي تعالى . وقيل : يجوز أن يكون معنى يتلوها ينزلها متوالية شيئاً بعد شيء . وجوزوا في قراءة أبي نهيك أن يكون ضمير الفاعل عائداً على جبريل وإن لم يجر له ذكر للعلم به . . .
ومعنى بالحق أي بإخبار الصدق . وقيل : المعنى متضمنة الأفاعيل التي هي أنفسها حق من كرامة قوم وتعذيب آخرين . وتلك مبتدأ أو آيات القرآن خبره ، ونتلوها جملة حالية . قالوا : والعامل فيها اسم الإشارة . وجوزوا أن يكون آيات القرآن بدلاً ، والخبر نتلوها . وقال الزجاج : في الكلام حذف تقديره تلك آيات القرآن المذكورة حججاً ودلائل انتهت . فعلى هذا الذي قدره يكون خبر المبتدأ محذوف ، لأنّه عنده بهذا التقدير يتم معنى الآية . ولا حاجة إلى تقدير هذا